دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	دراسات قرآنية : دلائل عظمة القرآن
المصدر:	التوحيد
الناشر:	جماعة أنصار السنة المحمدية
المؤلف الرئيسي:	البصراتي، مصطفى
المجلد/العدد:	س 41, ع 482
محكمة:	لا
التاريخ الميلادي:	2011
الشهر:	صفر / ديسمبر
الصفحات:	23 - 25
رقم MD:	192021
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	IslamicInfo
مواضيع:	عظمة القرآن، ألفاظ القرآن، إعجاز القرآن
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/192021

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

دراسات قرآنية
دلائل عظمة القرآن

إعداد/ مصطفي البصراتي

الحمد لله والصلاة والسلام علي رسول الله، وعلي آله وصحبه ومن وصحبه مومن والاه، وبعدُ.

فإن الحديث عن عظمة القرآن الكريم أعظم من أن يحيط به بشر، فكيف بمن يكتب أوراق محدودة، في أشهر معدودة، فأني له أن يفي عما يكتب بحقه، أو قريب منه، إنه القمة العليا والتي لن نصل إليها مهما اجتهدنا ولكننا نقترب منها كلما اجتهدنا، لأنه كتاب الله، به تكلم، وفيه أودع تلك العظمة، ومع ذلك فلا بد من استجلاء هذه العظمة، وتلك الخصوصية، فقد استولي علي العقول، وهيمن علي القلوب، فأبدعت الألسن في وصفه وسألت الأقلام في نعته، ولا غرابة في ذلك فهو أحسن الحديث وأعظمه وأطيبه وأحكمه، وهو الكتاب الذي لا ريب فيه ولا نقص يعتريه؛ لبلاغته وسمو إرشاداته ودقة معلوماته، وقوة دلائله وبياناته، وجمال عباراته:

وسيكون حديثنا حول عظمة القرآن، ومظاهر هذه العظمة ودلائلها علي النحو التالي:

١- ثناء الله على كتابه

أثني الله تعالي علي كتابة العزيز في آيات كثيرة، مما يدل علي عظمته كما وصفه "بالعظيم" في قوله تعالي: " وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِّنَ المَثَانِي وَالْقُرْآنَ العَظِيمَ(٨٧)" (الحجر: ٨٧)، ووصفه "بالإحكام" في قوله تعالي: " الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (١)" (هود: ١).

وذكر هيمنته عل الكتب السابقة في قوله تعالي: " وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٤٨)" (المائدة: ٤٨)، فهذا الكتاب هو المهيمن الحافظ لمقاصد الكتب المنزلة قبله، الشاهد المؤتمن علي ما جاء فيها، ووصفه في أم الكتاب بأنه "عليٌ حكيم" في قوله تعالي: " وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ (٤)" (الزخرف: ٤) ك، فهذه شهادة من الله تعالي بعلو شأن القرآن وحكمته.

ولا ريب أن من عظمة القرآن أنه (عليٌ) في محله، وشرفه، وقدرة فهو عال علي جميع كتب الله تعالي، بسبب كونه معجزاً باقيًا علي وجه الدهر.

ومعني الحكيم: المنظوم نظما متقنًا لا يعتريه أيُّ خلل في أي وجه من الوجوه، فهو حكيم في ذاته، حاكم علي غيره.

والقرآن (حكيم) كذلك فيما يشتمل عليه من الأوامر، والنواهي، والأخبار، فليس فيه حكمٌ مخالف للحكمة والعدل والميزان، ومن ثناء الله تعالي علي القرآنِ أن وصفة في ثلاثة سور بأنه :كتاب مبارك" وبركة هذا الكتاب تمتد إلي يوم القيامة، فعطاؤه نام لا ينقد، يواكب الحياة بهذا العطاء، ثم يأتي شفيعاً لأصحابه.

٢- عظمة منزلة سبحانه وتعالي:

العظيم: ذو العظمة والجلال في ملكة وسلطانة، كذلك تعرفه العرب في خطبها ومحاوراتها، يقول قائلهم: من عظيم بني فلان اليوم؟ أي: من له العظمة والرئاسة منهم؟ فيقال: فلان عظيمهم، ويقولون: هؤلاء عظماء القوم، أي: رؤساؤهم، وذوو الجلالة والرئاسة منهم، وهناك فرق بين عظمة الخالق والمخلوق، فالمخلوق قد يكون عظيما في حال دون حال، وفي زمان دون زمان، فقد يكون عظيمًا في شبابه، ولا يكون كذلك عند شيبه، وقد يكون ملكًا أو عينًا في قومه، فيذهب ملكه وغناه أو يفارق قومه، وتذهب عظمته معها، لكن الله سبحانه وتعالي هو العظيم أبداً.

قال الأصبهاني: العظمة صفة من صفات الله، لا يقول له خلقٌ، والله تعالي خلق بين الخلق معظمة بعظم بها بعضهم بعضا، فمن الناس من يعظم لمال، ومنهم من يُعظم لفضل، ومنهم من يعظم لعلم، ومنهم من يعظم لسلطان، ومنهم من يعظم لجاه، وكل واحد من الخلق أنما يعظم بمعني دون معني، والله عز وجل يعظم في الأحوال كلها.

فينبغي لمن عرف حق عظمة الله، ألا يتكلم بكلمة يكرها الله، ولا يرتكب معصية تغضب الله، إذ هو القائم علي كل نفس بما كسبت.

فالله تعالي هو العظيم علي الإطلاق؛ لأنه عظيم في ذاته، عظيم في أسمائه وصفاته كلها، فلا يجوز قصر عظمته في شيء دون شيء منها؛ لأن ذلك تحكم لم يأذن به الله.

قال ابن القيم في نونيته:

وقال العظيم بكل معني يوجب

التعظيم لا يحصيه من إنسان.

فمن عظمته تعالي: أنه لا يشق عليه أن يحفظ السماوات والأرض السبع، ومن فيها وما فيها، كما قال تعالي: " اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ العَلِيُّ العَظِيمُ (٢٥٥)" (البقر ٢٥٥).

وتتجلي عظمة القرآن العظيم في عظمة منزله جل جلاله.

٣- فضل من نزل بالقرآن:

نوه الله تعالي بشأن من نزل بالقرآن علي رسولنا محمد صلي الله عليه وسلم، وهو جبريل عليه السلام، أمين الوحي الإلهي، وذكر فضله في عدة آيات، منها:

قوله تعالي: " قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ القُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ(١٠٢)" (النحل: ١٠٢)، و(روح القدس): جبريل عليه السلام.

والروح: الملك، كما قال تعالي: " فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَاباً فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِياًّ (١٧)" (مريم: ١٧) أي: ملكا من ملائكتنا.

والقدس: بضمتين، ويضم فسكون، مصدر، أو اسم مصدر، بمعني: النزاعة والطهارة أو الطهر والمراد به هنا : معناياه الحقيقي والمجازي، الذي هو الفضل وجلالة القدر، وإضافة الروح إلي القدس، من إضافة الموصوف إلي الصفة، كقولهم حاتم الجود، وزيد الخير، فالمعني: الملك المقدس، وقوله تعالي: " وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ العَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ (١٩٣)" (الشعراء: ١٩٢).

وسمي جبريل عليه السلام بالروح لعدة أوجه:

١- لأنه روح مقدسه، فوصفه بذلك تشريفًا له وبياناً لعلو مرتبته.

٢- لان الدين يحيا به، كما يحيا البدن بالروح، فهو المتولي لإنزال الوحي إلي الأنبياء.

٣- لأن الغالب عليه الروحانية، وكذلك سائل الملائكة، غير أن روحانيته أتم وأكمل.

وقد وصف الله تعالي جبريل عليه السلام بخمس صفات في قوله تعالي: " إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩) ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي العَرْشِ مَكِينٍ (٢٠) مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ (٢١)" (التكوير: ١٩).

صفات جبريل الأمين عليه السلام:

الصفة الأولي: أنه كريم: فهو رسول كريم وليس كما يقول أعداؤه: إن الذي جاء به شيطان، فإن الشيطان خبيث مخبث، لئيم، قبيح المنظر، عديم الخير، باطنة أقبح من ظاهرة، وظاهرة أشنع من باطنة، وليس فيه ولا عنده خير، فهو أبعد شيء عن الكرام، والرسوم الذي ألقي القرآن علي محمد صلي الله عليه وسلم كريم جميل المنظر، بهي الصورة، كثير الخير، طيب مطيب، معلم الطيبين.

الصفة الثانية: أنه ذوق قوة:

كما قال تعالي في موضوع آخر: " عَلَّمَهُ شَدِيدُ القُوَى(٥)" (النجم: ٥)، وفي ذلك تنبيه علي أمور:

١- أنه بقوته بمنع الشياطين أن تدنو منه، وأن ينالوا منه شيئاً، وأن يزيد فيد أو ينقصوا منه، بل إذا رآه الشيطان عرب منه ولم يقربه.

٢- أنه موال لهذا الرسول الذي كذبتموه، ومعاضد له، ومواد له ومناصر، كما قال تعالي: " إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ المؤْمِنِينَ وَالْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ (٤)" (التحريم: ٤)

ومن كان هذا القوي وليهم، ومن أنصاره وأعوانه، ومعلمه، فهو المهتدي المنصور والله هادية وناصره.

٣- أن من عادي هذا الرسوم فقد عاد صاحبه ووليه جبريل، ومن عادي ذا القوة والشدة فهو عرضة للهلاك.

٤- أنه قادر علي تنفيذ ما أمر به؛ لقوته، فلا يعجز عن ذلك، مؤد له كما أمر به لأمانته، فهو القوى الأمين، وهذا يدل علي عظمة شأن المرسل والرسول والرسالة، والمرسل إليه، والمرسل به؛ لأنه انتدب له الكريم القوى المكين عنده والمطاع في الملأ الأعلى، فإن الملوك لا ترسل في مهماتها إلا الأشراف، ذوي الأقدار والرتب العالية.

الصفة الثالثة: أنه مكين عند الرب تعالي: كما قال تعالي: " ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي العَرْشِ مَكِينٍ (٢٠)" (التكوير: ٢٠).

والمكين: فعيل، صفة مشبهة من مكن بضم الكاف، مكانة، إذا علت رتبته عند غيره، كما قال الله تعالي في قصة يوسف عليه السلام مع الملك: " وَقَالَ المَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ اليَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ (٥٤)" (يوسف: ٥٤)، وتوسيط قول: " ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي العَرْشِ" (التكوير: ٢٠)، بين "ذي قوة" و "مكين" ليتنازعه كلا الوصفين علي وجه الإيجاز، أي: هو ذو قوة عند الله، أي جعل الله تعالي مقدرة جبريل عليه السلام تخوله أن يقوم بعظيم ما يوكله الله به مما يحتاج إلي قوة القدرة وقوة التدبير، وهو ذو مكانة عند الله وزلفي.

وعدل عن اسم الجلالة إلي (ذي العرش) لتمثيل حال جبريل عليه السلام ومكانته عند الله تعالي بحال الأمير المنفذ لأمر الملك وهو يحمل الكرامة لديه.

فجبريل عليه السلام له مكانه ووجاهة عند الله تعالي، وهو أقرب الملائكة إليه، يشهد له قوله تعالي: "عند ذي العرش" إشارة إلي علو منزلته، إذ كان قريباً من ذي العرش سبحانه.

الصفة الرابعة: أنه مطاع في السماوات:

وفي قوله: "مطاع ثم" إشارة إلي أن جنوده وأعوانه من الملائكة الكرام يطيعونه كما يطيع الجيش قائدة، لنصر صاحبه وخليله محمد صلي الله عليه وسلم:

وفيه إشارة أيضا إلي أن هذا الذي تكذبونه وتعادونه سيصبح مطاعاً في الأرض، كما أن جبريل مطاع في السماء، وأن كلا من الرسولين مطاع في محله وقومه، وفيه تعظيم له بأنه بمنزله الملوك المطاعين في قومهم، فلم ينتدب لهذا الأمر العظيم إلا مثل هذا الملك المطاع.

الصفة الخامسة: أنه أمين:

وفي وصفه بالأمانة إشارة إلي حفظ ما حمله، وأدائه له علي وجه دون نقض ولا تغيير.

وفيما تقدم من عظمة أوصاف جبريل عليه السلام، تبين لنا – بقياس الأولي – عظمة القرآن الذي نزل به، وعلو شأنه، ومنزلته عند الله تعالي.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالي.

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.